منارات
manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة الهدف للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"21عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

www.almadasupplements.com

العدد (5902) السنة الثانية والعشرون - الأربعاء (7) أيار 2025

أسامة منزلجي

2025 - 1948

أسامة منزلجي.. الكتب ملاذنا في الحياة

علي حسين

في معرض القاهرة للكتاب توقفت عند جناح دار ممدوح عدوان، اسأل مدير الجناح الذي استقبلني بترحاب عن الجديد، وقبل ان تمتد يده لتشير للكتب الصادرة حديثا، لمحت كتاب "العودة الى متوشالح" مسرحية برناردشو الشهيرة التي يناقش فيها نظرية التطور ومفهومه للدين، كنت قد قرأت المسرحية قبل ما يقارب الاربعين عاما بترجمة العراقي انيس زكي حسن، وقد ارفقها بالمقدمة الطويلة التي كتبها برناردشو وخصصت لها فصلا في كتابي "غوايات القراءة"، امتدت يدي للكتاب، قرات على غلاف "العودة الى متوشالح" اسم المترجم السوري اسامة منزلجي، مع اضافة عبارة تقول "معالجة مستقبلية لأسفار موس الخمسة". اقتنيت الكتاب اكراما لإسم أسامة منزلجي. في الفندق وجدت نفسي مندمجا مع مقدمة برناردشو المذهلة وترجمة منزلجي الرائعة، وتذكرت ان هذا المترجم البارع اغنى المكتبة العربية بعشرات الترجمات المتميزة، وكان له الفضل بتقديم اعمال هنري ميللر كاملة للقارئ العربي –صدرت عن دار المدى –، اضافة الى اعمال عبقري الرواية الامريكية فيليب روث، واضاف لها روايات هرمان هسه وثلاثية إيريكا يونغ والتاكيد سالينجر، ومذكرات تينسي ويليامز، وكتب ليف أولمان وغاتسبي العظيم، اكثر من مئة كتاب كانت حصة دار المدى فيها تجاوزت الستين كتابا، وقد اخبرني مسؤول النشر في المدى وهو يسمع بخبر وفاة اسامة منزلجي، ان الراحل ارسل قبل ايام كتاب مترجم، مما يدل على ان الراحل حتى اللحظة الاخيرة من حياته كان يترجم ويختار كتب جديدة ليقدمها للقارئ، ألم يقل يوما انه "يترجم في كل يوم وفي كل أسبوع وفي كل شهر وعلى مدار العام".

شاء اسامة منزلجي أن يكتب سيرة حياته من خلال الكتب التي ترجمها الى العربية فهو يؤمن ان "ما من كتاب لا يترجم"، فالترجمة في نظره لا تقل اهمية عن التاليف فهي "عملٌ وتكريس وتفانٍ"، وإن على المترجم لكي يتقن عمله ان يحب ما يترجَمه، فالكتب هي رسالة وهدف حضاري لتنوير الانسان.

المترجم المولود في مدينة اللاذقية السورية عام ١٩٤٨، قضى معظم حياته يعيش في شقة مليئة باكداس من الكتب، وحيطان تزينت بصور لفرجينيا وولف واديث بياف وهنري ميللر وارسون ويلز، ويتوسطهم فيلسوف تدهور الحضارة الغربية أوزوالد شبينغلر، نادرا ما كان يترك منزله، قال في حوار نشرته صحيفة القدس العربي: "عندما يتصادف أن أخرج، فان مشواري لن يستغرق أكثر من بضع دقائق، لكنني هكذا كنتُ دائما؛ أنا شخص غير اجتماعي، ولا أفهم ولا أرغب في اتباع الرسميات في العلاقات الاجتماعية. وأنا لستُ متحدثاً جيداً.. لذلك عندما يتصادف أنّ أكون في جلسة ما، أكونُ مُصغياً أكثر مني متكلّماً. كثرة الكلام ضجيج مزعج"، ويقول لزياد عبد الله: "أذكر أنني كنتُ في صغري منطوياً انطواءً أرى الآن بوضوح أنّه كان مَرَضياً، أساسه الخوف من الآخرين، لأنّ الشرّ موجود (هناك). وكانت مجرد فكرة الخروج من المنزل ترعبني، وكان كابوساً حقيقياً صنعه أبواي" – جريدة الاخبار ٢٠٠٨ –.

ربما لم تكن مصادفة ان تكون آخر ترجماته التي صدرت عن المدى، كتاب النجمة الثروبيجية ليف اولمان "خيارات"، فقد كانت الخيارات جزء من حياة اسامة منزلجي، الطفل الذي عشق الانكليزية من خلال تقليب كتب اشقاءه الاكبر منه، سحرته اشكال الحروف الانكليزية: "كان فضولي يقتلني لفك رموز هذه الأحرف التي كانت تبدو كألغاز"، ما ان ينهي الدراسة الاعدادية حتى يقرر دراسة الأدب الإنكليزي في جامعة دمشق، خلافا لرغبة الاهل الذين كانوا يطمحون ان يختار كلية تؤهله لوظيفة تساعد العائلة، إلا ان الشاب الذي وقع في سحر هنري ميللر وجد في الترجمة حياته، وقرر ان يكرس لها سنين عمره، وعندما يسأله المقربين منه: لماذا لايؤلف كتاباً، يبتسم وهو يقول ان ما يقرأه من روايات وكتب ادبيه يجعله يقتنع بأنه: "لن يؤلف حرفا ما دام هناك كتّاب على هذا القدر من الجنون والإبداع" وظل يرى ان هنري ميللر وهرمان هسه وفوكنر: "يقولون ما أريد قوله أفضل مما سأفعل".

تبدأ رحلة الترجمة مع قصة قصيرة لفرجينيا وولف، ولم يكن يدري آنذاك ان ما فعله هو ترجمة. لذلك، لم ينشر القصّة القصيرة "بقيت في درجي إلى أنْ اهتررأت!". بدايته الحقيقية كانت مع رواية هنري ميللر "ربيع اسود"، قال ان اختياره لهذا الكاتب كان اختيارا معقولا، فهنري ميللر كان بالنسبة له هو المتمرد الصعلوك الذي أراد أنْ يُعيد تعريف كل شيء حسب ملاحظاته وتجربته في الحياة، أراد أنْ يُنهي الجملة التقليدية للتعبير عما يريد، والمفهوم التقليدي للعيب، أراد أنْ يستمد تجربته من التماس المباشر بالحياة وبالإنسان".

يعتقد منزلجي ان مهمة المترجم أن يقدم كتب مختلفة في أسلوبها وأفكاره وطريقة عرضها، فمثل هذه الترجمات هي التي: "تجعل الناس ينتبهون ويلتفتون ويُبدون اهتماما"

فالترجمة في عُرف اسامة منزلجي وسيلة للتعلم والتحضّر والتثقيف: "لا شيء يجعلك إنساناً سامياً أكثر من قراءة كتاب حسن التأليف والصياغة، واضح المعالم والمعاني، يجذب الاهتمام وتستمد منه أسرار الأعماق الإنسانية". يقول انه عندما يضع اسمه على كتاب مترجم فانه لا يريد أن يقترن اسمه بكتاب غير جيد، فمسؤولية المترجم جذب اهتمام وانتباه القارئ، لكتب تهتم بالانسان وتبقى في الذاكرة، فما يهمه كمترجم هو ان يقدم للقارئ العربي الكتاب المهتمين بمصير الإنسان: "الكتّاب الذين يذهبون إلى الأسئلة الكبرى مباشرة، الذين لا يعترفون بالحواجز والموانع، الذين يسعون إلى الحرية الداخلية قبل الخارجية".

يرحل اسامة منزلجي عن عمر ٧٧ عاما وكانت امنيته: "أنْ تصبح الكتب تحت أنف كل عربي لينهمك بالقراءة، وأن تزال الحدود والحواجز الفكرية والأخلاقيّة التي تمنع تحقيق هذا الحلم". عاشق القراءة الذي مات في سريره تحيط به اكداس الكتب، كان قد أدرك منذ الصغر ان الكتب هي ملاذه في الحياة.

أسامة منزلجي المترجم الذي أسس مشروعا شاملاً

زياد عبدالله

تكتسب عبارة "خسارة كبيرة" التي رافقت خبر وفاة المترجم السوري أسامة منزلجي (١٩٤٨ – ٢٠٢٥) قبل أيام، ما يتخطى كونها تعبيراً فقط عن "خسارة" ترتبط بقيمة كبيرة وصاحب مشروع له أثر بالغ في الثقافة العربية، إنما تحيل أيضاً إلى خسارة القارئ مزيداً من ترجماته، وهو الذي ما كان يفرغ من ترجمة كتاب إلا ويباشر بآخر، وقد كان منشغلاً في أيامه الأخيرة بمشروع ترجمة أعمال الروائيتَيْن، الإيرلندية أدنا أوبراين والإنجليزية أنيتا بروكنر.

يعيدنا الإرث المديد الذي تركه لنا المترجم السوري أسامة منزلجي إلى "ربيع أسود" أول رواية ترجمها لهنري ميللر، وقد جاء في مطلعها: "أنا إنسان من الحي الرابع عشر في بروكلين، وهناك نشأت، بقية الولايات المتحدة لا وجود لها بالنسبة إليّ، إلا كفكرة أو كتاريخ أو كأدب. في سن العاشرة انتزعت من تربتي الأصلية ونُقلت إلى مقبرة، مقبرة لوثرية، حيث الشواهد دائماً منظمة والأكاليل لا تذبل أبداً".

ولعل هذا المطلع مغرٍ بالمحاكاة ووضعه في سياق حياة مترجمه، فيمسي: أنا إنسان من مدينة اللاذقية، وهناك نشأت ولم أفارقها إلا للدراسة وخدمة العَلَم. بالكاد قصدت دمشق بعد دراستي الأدب الإنجليزي في جامعتها، ثم أصبحت بقية سوريا لا وجود لها بالنسبة إليّ، لا بل لا وجود للعالم إلا كفكرة أو كتاريخ أو كأدب، منذ لازمت غرفتي وطاولتي ومكتبتي في مدينتي لم أتوقف عن الترجمة حتى آخر يوم في حياتي.

هذا حقيقي جداً عن أسامة، وهو الذي كرّس حياته كاملة للترجمة فقط، لدرجة اعتبار حياته على شيء من "الرهبنة" في سبيل الترجمة، الوصف الذي لا يحبذه ويستعيض عنه بالقول "أسلوب حياة محسوب بدقة" مكرّس للترجمة، التي أغنته عن مجرد التفكير بأن يؤلف حرفاً واحداً، ما دام وجد في ما ترجم لكتّاب وكاتبات كل ما يريد قوله، وحسب تعبيره "يقولونه بأفضل بكثير مما سأفعل".

ما تقدّم جوهري جداً في مشروع ترجمة أسامة منزلجي، وله أن يضيء على فرادته الماثلة في اختياراته، أي أولئك الذين يقولون ما يريد قوله فيجعلهم يفعلون ذلك بالعربية، وما نقله إليها كان شديد التمرد، صادماً، صارخاً، تدميرياً، مغايراً تماماً للسائد، وهو بصورة أو أخرى مغيب ومهمّش باللغة الإنجليزية، يُهمس بأهميته همساً، كما هو هنري ميللر، الذي يكتفي عزرا باوند بالقول عن روايته "مدار السرطان" (طبعت في باريس عام ١٩٣٤ ومنعت في الولايات المتحدة): "هاكم كتاب قذر يستحق القراءة"، بينما يبدي إليوت إعجابه الشديد بالرواية برسالة إلى ميللر من دون أن يصرح بذلك، وهو الذي كان يعتبر شيلي شاعراً شيطانياً، فكيف بكتابة هنري ميللر، التي "تشعرنا بالرعب ونحن نقرأها"، على رأي نورمان ميللر في كتابه عنه "العبقرية والشبق"، مضيفاً "والرعب يمكن أن يكون رفيقاً مناسباً للفن العظيم".

دفع أسامة منزلجي ثمن اختياراته أيضاً، ففي بداياته كان يترجم من دون ناشر تقريباً، نجح في نشر بضع روايات هنا وهناك "ربيع أسود" في دار ابن رشد عام ١٩٨٣، و"مدار السرطان" في دار الكنوز الأدبية عام ١٩٩٧، إلا أن أغلب ما عرضه على الناشرين كان يقابل بالاعتذار عن نشره جراء جرأته الشديدة، وهكذا فإن أسامة أمضى نصف حياته المهنية يترجم ولا ينشر أو ينشر القليل، من دون أن يثنيه ذلك عن المواصلة، منكباً على دفاتر مدرسية صغيرة يترجم على أوراقها بقلم رصاص، فعلى سبيل المثال قرأتُ ترجمته لثلاثية "الصلب الوردي" كمخطوط في أواسط التسعينيات ولم تنشر إلا عام ٢٠٠٢ في دار المدى، ومثلها "مذكرات تينسي ويليامز" وكتب كثيرة أخرى.

لكن المدهش كان مع رواية رالف إليسون "الا مرئي" التي قرأتها مخطوطاً في التسعينيات أيضاً، ولأجدها منشورة في دار المدى عام ٢٠٢٢، وهذا يقودني للقول إن علاقته مع "المدى" شكّلت منعطفاً في مسيرته، وتحديداً بعد إصدارها ترجمته لرواية نيكوس كازانتزاكس "الإغواء الأخير للمسيح" عام ١٩٩٥، ومن بعدها توالت إصداراته من خلالها، وعلى نحو متوال وقد تراكمت لديه كثير من الترجمات، وصولاً إلى مشاريع مثل ترجمة روايات فيليب روث الكاملة، وأعمال لتيري إيغلتون ابتداءً من سيرته الذاتية "حارس البوابة" و"العقل والإيمان والثورة" و"الثقافة وموت الإله"، وثلاثية إريكا يونغ (النسخة النسائية من هنري ميللر) "الخوف من الطيران" و"الخوف من الخمسين" و"الخوف من الموت"، والأعمال الكاملة لسالينجر "الحارس في حقل الجودار" و"تسع قصص" و"فراني وزوي"، وصولاً إلى أخطر أعمال برنادر شو "العودة إلى متوشالح" الذي كان آخر ترجماته وقد صدر عن "محترف أوكسجين للنشر".

وهنا انتقل إلى ملمح آخر من مشروع أسامة منزلجي في الترجمة، ألا وهو وقعها، فقد أحدثت ترجماته هزة كبيرة في الثقافة العربية، ولي أن أتكلّم عن نفسي وعن جيلي، فمع قراءة "مدار السرطان" و"مدار الجدي" و"عملاق ماروسي" وثلاثيته "الصلب الوردي" وكل أعمال ميللر التي ترجمها، وجدنا حليفاً استثنائياً لتمردنا، عزز من هوسنا بالكتابة بحرية، ومناهضة الوصفات الجاهزة، مع إيلاء الهامش الأهمية الكبرى في الفعل الإبداعي، بوصفه النطاق الحيوي المختلف تماماً عن زيف السائد والمصادق عليه والمكلل بالجوائز، فعلى رأي ميللر "إنّ الذي لا يحدث في عراء الشارع المفتوح زائف"، وإن أضيف إلى ميللر ترجمته لـ"شعائر الجنازة" لجان جينه (هذه الرواية وروايات هرمن هسه هي الوحيدة التي ترجمها عن لغة وسيطة) ومعها "الإغواء الأخير للمسيح" و"مذكرات تينسي ويليامز" وثلاثية إريكا يونغ وبالتأكيد سالينجر، فأي أثر ستحدثه هذه الأعمال، أية نافذة ستفتحها في ذهن قارئها، وأية روح متمردة ستوقظ؟

• عن الاندبندنت عربية

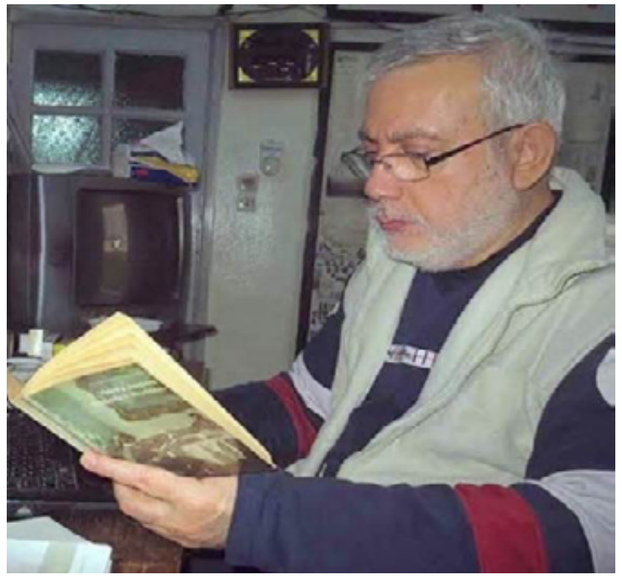

أسامة منزلجي إلى عزلته الأخيرة

ميادة سفر

لا شكّ أن التراكم المعرفي والقرائي يجعل من القارئ محترفاً وخبيراً في كثير من الأحيان أثناء انتقائه للكتب التي يريدها والعناوين التي يبحث عنها، وقلة من القراء لا يولون أهمية للمترجم، وهم يتصفحون عشرات الكتب التي تغص بها المكتبات وتحملها الرفوف، ولأن اسم أسامة منزلجي بات غنياً عن التعريف فإنه لرحيله وقع الصدمة على القراء الذين سيفتقدون قلماً لمترجم مخلص وأمين في كل ما نقله إلى العربية.

لا يمكن لقارئ شغوف إلا ومرّ بين يديه أحد الكتب التي تحمل توقيع أسامة منزلجي مترجماً، الرجل الذي لم يكن يعلم وهو يخط أولى ترجماته أنّ ما قام به ترجمة، يوم خطت يداه رواية فرجينا وولف لتبدق في إدراجه حتى اعتراف، كانت تلك محاولته الأولى ليصير واحداً من أشهر المترجمين العرب وأكثرهم إنتاجاً، متمنياً أن يترجم أكبر عدد من الكتب حين قال في لقاء معه للعربي الجديد مضيفاً أمنيته "أن تصبح الكتب تحت أنف كل عربي لينهمك بالقراءة".

في غرفته التي قلماً خرج منها وهو الانطوائي باعترافه "أنا شخص غير اجتماعي" وقليل الكلام "ولدت لأكون مصغياً"، ترجم عشرات الكتب لهنري ميلر وهرمان هسه ونيكوس كازانتزاكي وغيرهم من كتاب حرص على أن يقترن اسمه بهم، وهو الذي "لا يريد أن يقترن اسمه بما يسيء

بعناية فائقة وحرص شديد لتبقى في الذاكرة لأن الترجمة مسؤولية، مبتعداً عن الكتب الرائجة التي لا غاية منها إلا الكسب المادي والتفاهة، يقول في إحدى لقاءاته: "يهمني بالدرجة الأولى الكتاب الإنسانيون، المهتمون بالمصير الإنساني والمعاناة الإنسانية في هذا العالم"، مبتعداً عن تلك الكتب التي تجد إقبالاً كبيراً لدى الجمهور لأن "لها سمعة مريبة".

في مدينة اللاذقية السورية ولد أسامة منزلجي عام ١٩٤٨، سيحصل عام ١٩٧٥ على إجازة في اللغة الإنكليزية من جامعة دمشق، ليرحل منذ أيام عن ٧٧ عاماً شغف خلالها بالقراءة والكتاب والترجمة، محاطاً بعشرات الكتب في غرفة كان يمضي فيها عزلته، وإلى عزلة أبدية يرحل تاركاً للقارئ العربي الكثير من الكتب التي ستحفظ اسمه بين الخالدين، وهل أفضل من الكتاب سبيلاً للخلود في زمن عمت فيه التفاهة وقلّ فيه الإبداع.

أسامة منزلجي: وُلِدْتُ لأصغي

هنادي زرق

حين تحدثنا معه على الفايسبوك وأخبرناه أننا نرغب في إجراء مقابلة معه، كان لطيفاً للغاية، لكنه سأل على الفور: هل الأسئلة جاهزة؟ لم يكن السؤال مباغتاً بالنسبة إلينا، فلطالما سمعنا وقرأنا أنّ المترجم أسامة منزلجي يقتضب كثيراً في حديثه، ولا وقت لديه للخروج أو الجلوس والحديث مع الأصدقاء. يعيش عزلته التي اختارها في منزله في اللاذقية مع الكتب والترجمة والموسيقى. لم يعرف كيف يدلّنا إلى منزله.

• كيف أسَرَتْكَ اللغة الإنكليزية؟ وهل درست الأدب الإنكليزي كي تغدو مترجماً؟ ألم تفكّر في خيارات أخرى؟

أسرتني اللغة الإنكليزية بأحرفها، وأشكالها. عندما كنت صغيراً، أذكر أنني كنتُ أفتح كتب المقررات المدرسية لإخوتي الخاصة باللغة الإنكليزية وأنظر ملياً إلى أشكال الأحرف التي كانت بالنسبة إلي عيني أشكالاً فنية مُثيرة للفضول، كأنّ وراء كل منها حكاية أو أسطورة، أو كأنها ترمز إلى معان خاصة بها. كل منها كان يُثير في شعوراً مختلفاً، كأنها أشخاص... درستُ الأدب الإنكليزي ليس من أجل الترجمة، بل من أجل كشف أسرار ما يختبئ خلف تلك اللغة، من أجل قراءة المزيد والمزيد من الكتب التي كنت أسأل عنها في المكتبة العامة ولا أجد لها ترجمة إلى اللغة العربية. لم أكن أفهم هذا أبداً: لمَ لا تُترجَم الكتب كلها؟ ولو لم أدرس الأدب الإنكليزي، لدرستُ ربما شيئاً يتعلق بالموسيقى أو بالرسم. كنتُ صبياً لا يمكن أنْ يتلاءم إلا مع اختصاص يليق بكونه منعزلاً بامتياز، حواره الوحيد مع الكلام المكتوب والكلام الذي يدور في الرأس... لم أنجح مرة في إجراء حوار طويل مع أحد. ولدتُ لأكون مُصغياً.

• ثمّة مترجمون لم يدرسوا أدباً إنكليزياً أو فرنسياً في الجامعات. كان يكفيهم أن يجيدوا اللغتين المُترجَم منها والمُترجَم إليها كي يترجموا. هل تعتقد أن الدراسة الأكاديمية ضرورية كي يغدو المرء مترجماً؟

– من دون أدنى شك: الدراسة الأكاديمية تطلعك على أمور دقيقة لا يتوصل المرء إلى معرفتها وحده إلا بالدراسة الدقيقة للغة. قد لا يحفظ تلك الأمور لكنه يطّلع عليها ويتذكرها في عمله لاحقاً. على أي حال، تعلّم اللغة يعتمد في الأساس على ممارستها، على الجهد الفردي للمتعلّم، والإلحاح والمثابرة. كيف يمكن لأحد أنْ يتعلم لغة وهو لا يطبق فتح القاموس، مثلاً، ليفتش عن معنى دقيق لكلمة ما؟

• ما هي علاقتك باللغة العربية؟ هل تجدها قاصرة في مواكبة الإنكليزية أحياناً؟

– أعتقد أنّ مشكلتنا مع لغتنا هي أننا لا نستعملها. ليس من الضروري حفظ الأشعار والمعلقات، وقواعد اللغة وقواعد القواعد. في اعتقادي أنّ الأهم هو تذوّق اللغة كأداة للتواصُل والتعبير. طبعاً لغتنا ليست قاصرة، لكنّ إهمالنا لها ولتطويرها للتلاءم مع العصر هو المشكلة. نحن في حاجة إلى قاموس للمترادفات، لجمع أكبر عدد ممكن من الكلمات المترادفة بغية المحافظة عليها واستعمالها وإبقائها في الذاكرة.

• ما الذي خطر في بالك حين ترجمتَ كتابك الأول لهنري ميللر؟ لماذا اخترتَ ميللر كبداية؟ وكيف كان شعورك حين قرأتَ اسمكَ على أول كتاب مطبوع؟

– عندما بدأت الترجمة، كنتُ أصبو إلى تقديم كتاب مختلف في أسلوبه وأفكاره وطريقة عرضه، إلى شيء يجعل الناس ينتبهون،ويلتقتون ويُبدون اهتماماً: باختصار، أحببتُ أنْ أعيد إلى القراءة جاذبيتها، ورونقها كارقى وسيلة للتعلّم، والتحضّر والتثقيف. لا شيء يجعلك إنساناً سامياً أكثر من قراءة كتاب حسن التأليف والصياغة، واضح المعالم والمعاني، يجذب الاهتمام وتستمد منه أسرار الأعماق الإنسانية. ميللر كان في ذلك الوقت اختياراً معقولاً، فهو أبعد ما يمكن عن كتب المقررات المدرسية التي تنفّرك من القراءة بدل أنْ تجذبك إليها. ميللر هو المتمرد الصعلوك الذي أراد أنْ يُعيد تعريف كل شيء حسب ملاحظاته وتجربته في الحياة، أراد أنْ يُنهي الجملة التقليدية للتعبير عما يريد، والمفهوم التقليدي للعيب، أراد أنْ يستمد تجربته من التماس المباشر بالحياة وبالإنسان. عندما رأيتُ اسمي مكتوباً على ترجمتي الأولى، شعرت بالمسؤولية، بأنني لا أريد أنْ يقترن اسمي بما يمكن أنْ يُسيء إليه: أردته أنْ يجذب الاهتمام والانتباه بوصفه جالباً لكلام يهتم بالإنسان ويبقى في الذاكرة.

• يُقال: إنّ الترجمة هي إعادة خلق العمل مرة ثانية أو بعبارة أخرى كتابة أخرى للعمل، هل تتدخل أحياناً في ترجمة العمل الذي ترجمه؟

– على العكس تماماً. أعمل جاهداً كي أنقل صوت الكاتب وأفكاره وأحاسيسه ونبرة صوته بأكبر دقة ممكنة، ليس بالترجمة الحرفية طبعاً، بل بالترجمة المتأنية الحسّاسة: إنني أحترم الكلمة كثيراً ولا أحب أنْ أتعامل معها باستخفاف وعُجالة، وأحبُّ أنْ أعتقد أنّ كل كلمة كُتِبتْ بانتقاء وصبر ومعاناة وينبغي التعامل معها بحب واحترام وإخلاص.

• اقتصرت ترجماتك، في أغلبها، على الروايات. لماذا لم تهتم بترجمة الدراسات النقدية في الأدب، أو الكتب الفلسفية والسياسية؟ ما الذي يغريك في ترجمة الروايات؟

– لأنّ الروايات هي عوالم متكاملة، وخاصة، وكل الكتابات المتعلقة بالأدب تفترض منها. لا يمكن وضع نظرية في الأدب أو تحليل شخصية أو حالة أو فترة زمنية أو تطوُّر إلا بعد قراءة كمٍّ كبير من الأدب. إنّ الأدب هو الخلق، هو الأصل، وكل النظريات والتحليلات والتيارات تأتي بعد ذلك.

• كيف تختار الكتب التي تريد ترجمتها؟ هل يهمّك أن يكون الكاتب ذا شهرة عالمية على سبيل المثال؟ أو أنها من قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في العالم؟ أم أنّك معنيٌّ بالكتب التي يمكنها أن تشكّل إضافة للمكتبة العربية؟

– إنّ الترجمة إبداع، ولا صلة لها بجمع المعلومات والكتب والمراجع، هذه كلها عناصر مُساعدة، لكنها لا تساعد في الترجمة: الترجمة إبداع فردي، ولكن أعترف بأنّ المترجم المبدع هو في الأصل قارئ نهم وذواقة في هذا المجال، والمدمن على القراءة هو الأجدر بأنْ يصبح مترجماً في المستقبل. القراءة أيضاً عمل إبداعي.

• هل تتلبّسكَ حالة كاتب العمل حين تترجمه؟ القادمون من البلدان العربية المجاورة. أما قوائم الكتب الأكثر مبيعاً، فهذا شأن يخص البلدان التي تصدر عنها ولا صلة لها بجودة تلك الكتب أو تميُّزها؛ إنها تتعلق بالذوق العام للقراءة في تلك البلدان ولا تهمني كثيراً. كلما ازدادت شهرة الكتاب قلّ اهتمامي به؛ أنا لا أقرأ الكتب التي تحظى بشهرة واسعة؛ إنّ لها سمعة مُريبة.

• هل الترجمة شغف؟ أم أنك تترجم أحياناً تحت ضغط الحاجة المادية؟ هل حدث أن ترجمت أعمالاً لم تكن مقتنعاً بها؟

– أي مترجم متواضع يعلم أنّ الترجمة لا يمكن أنْ تكون مصدراً مادياً يعتمد عليه. على العكس إنها عمل شاق ويتطلب في الدرجة الأولى التضحية والتكريس. الترجمة بالنسبة إلي خيار والتزام وحب للتعبير بالكلمة. نعم، حدث مرة أو اثنتين أنْ ترجمت كتباً لستُ مُقتنعاً بها، وأيضاً كنتُ أتمنى ألا أضطر إلى الترجمة عن لغة وسيطة.

• لكنك قمتَ بترجمات لبعض الكتّاب عبر لغة وسيطة (هرمان هسه، جان جينيه، كازانتزاكيس). لم تكن أعمالهم مكتوبة باللغة الإنكليزية في الأصل. هل يمكن المحافظة على روح النص الأصلي حين تتم الترجمة عبر لغة وسيطة؟ هل يصل بالأمانة ذاتها؟

– كما قلت سابقاً، كنت أتمنى ألا أُضطر إلى الترجمة عن لغة وسيطة. أنا أترجم عن اللغة الإنكليزية، ولذلك أنا مسؤول فقط أمام النص الإنكليزي فقط. أما ترجمة النص الأصلي إلى الإنكليزية، فمن مسؤولية المترجم إلى الإنكليزية، اللهم إلا إذا كان المترجم يُتقن لغات عدة، ويستطيع أنْ يُقيم مقارنة بين الترجمات المختلفة.

• ثمة مترجمون يقرؤون مكتبة كاملة حتى يحيطوا بعالم الكتاب وكتابه الذي يقومون بترجمته. هل أنت من هذا النوع؟ أم أنك تكتفي بقراءة العمل الذي تقوم بترجمته؟

– لا شك في أنّ معرفة الكاتب وعالمه أمر مفيد، لكن كل كتاب في رأيي هو عالم قائم بذاته، وتجربة منفصلة عن غيرها. ولذلك بالنسبة إلي ولوج ذلك العالم والتعرُّف إلى خفاياه ولغته الخاصة هو الأهم، وهو السبيل إلى بلوغ ترجمة راقية ودقيقة، والتعرُّف إلى حياة الكاتب يمكن أنْ تكون رافداً لفهم جوانب من ذلك العالم. عندما قرأت "الأخوة كارامازوف" لدوستويفسكي وأنا في العشرين من عمري، لم أكن أعرف شيئاً عن حياة الكاتب، وهذا لم يمنعني من التألّق مع أجواء الرواية الرائعة. وكذلك الأمر مع قصص تشيخوف؛ إنّ حبي لقصصه لا صلة له بمعرفتي لحياته؛ لم أعرف عن حياته إلا لاحقاً.

• كيف تترجم؟ هل تكتب على الورق أولاً؟ ثم تعيد طباعة ما كتبته على الكومبيوتر! ما تغيرت آليات الترجمة لديك منذ كتابك الأول إلى الآن؟

– قبل الكومبيوتر، كنتُ أترجم على دفاتر، دفاتر ضخمة وكثيرة وبالقلم الرصاص. لم أكنْ أرتاح إلا بالكتابة بقلم الرصاص، لأنني أحبّ أنّ أمحو الأخطاء بالممحاة لا أن أشطبها وأشوّه شكل الصفحة، ثم أطبعها على الآلة الكاتبة، ثم انتقلت إلى الكتابة على الكومبيوتر، وكان الأمر أسهل كثيراً، خاصة من ناحية إجراء التغييرات والتصحيحات. في أول الأمر، كنت أكتب الترجمة كالمعتاد على الدفتر ثم أنقلها إلى الكومبيوتر، ثم وجدتُ أنّ ذلك مضيعة للوقت، وأنّ في إستطاعتي أنْ أترجم مباشرة على الكومبيوتر وأنْ أُجري كل التغييرات والتصحيحات دون توقف، وهذا هو الحال الآن.

• هل أصبحت الترجمة أسهل في عصر الانترنت بوجود كثير من الكتب والمراجع وإمكانية الاطلاع عليها وتحميلها مباشرة من المكتبات الالكترونية من دون الغوص والتنقيب في الكتب الورقية والبحث عن المصطلحات؟

– إنّ الترجمة إبداع، ولا صلة لها بجمع المعلومات والكتب والمراجع، هذه كلها عناصر مُساعدة، لكنها لا تساعد في الترجمة: الترجمة إبداع فردي، ولكن أعترف بأنّ المترجم المبدع هو في الأصل قارئ نهم وذواقة في هذا المجال، والمدمن على القراءة هو الأجدر بأنْ يصبح مترجماً في المستقبل. القراءة أيضاً عمل إبداعي.

• هل تنتهي علاقتك بالعمل المترجَم حالما يخرج إلى المطبعة؟ أم أنه يستمر معك زمناً أطول؟

– نعم، بعد خروج الكتاب من المطبعة، يخرج من حياتي، استعداداً لدخول كتاب جديد، وعالم جديد. الكتاب الوحيد الذي تلبّسني كالكابوس كان رواية "١٩٨٤" لجورج أورويل، بأجوائه المغلقة والخانقة. كانت ترجمة كل حرف منه معاناة وعذاب. وعند نقطة معيّنة شعرتُ بأنني لن أستطيع أنْ أكمل ترجمته، لحسن الحظ هذه الترجمة ضاعت، وكنتُ سعيداً بذلك.

• بعد انتهائك من ترجمة الكتاب الذي بين يديك، هل ثمة من تستشيره قبل ذهاب الكتاب إلى المطبعة؟

– كلا. هذا أمر غير وارد؛ لا أحد يراجع ترجمتي غيري، وأفضّل أنْ أتحمّل بنفسي أي أخطاء قد تنتج لقصد أو بغير قصد. مراجعة الترجمة أمر يتعلق بمعرفة النصّين الإنكليزي والعربي، وغالباً مَنْ يُراجع، يراجع فقط النص العربي، وقد يخرج ببعض الأخطاء الصغيرة، لكنه لا يستطيع أنْ يُجري مقارنة بين النصين لمعرفة مستوى الترجمة. ثم إنّ أسلوب الترجمة يختلف من شخص إلى آخر؛ فمثلاً عندما طلبت مني إحدى دور النشر أنْ أراجع ترجمة أحد الكتب، وجدتُ حسب إحساسي بالنص أنّ الترجمة ضعيفة إلى درجة أنها كانت في حاجة إلى إعادة ترجمة، ولم أفعل هذا طبعاً. ربما كان المترجم الأصلي مقتنعاً بترجمته، ولديه قناعته الخاصة، ولذلك يجب أنْ يتحمّل نتيجة عمله.

• يُقال: إنك لا تخرج كثيراً من المنزل، بل تعيش في عزلة الترجمة والكتب. ألا تغريك الحياة والشوارع والمقاهي؟ ألا ترغب في التسكّع قليلاً بعيداً عن الكتب؟

– هذا صحيح، القريبون مني يعلمون هذا جيداً. وعندما يتصادف أنْ أخرج، يعلمون أنّ مشواري لن يستغرق أكثر من بضع دقائق. لكنني هكذا كنتُ دائماً؛ أنا شخص غير اجتماعي، ولا أفهم ولا أرغب في اتباع الرسميات في العلاقات الإجتماعية. وأنا لستُ متحدثاً جيداً. "كلمة وردّ غطاها" كما يُقال، لذلك عندما يتصادف أنْ أكون في جلسة ما، أكون مُصغياً أكثر مني متكلّماً. كثرة الكلام ضجيج مزعج.

• كيف هي علاقتك بوسائل التواصل الاجتماعي كالفايسبوك؟ هل أضاف لوناً ما على حياتك؟ هل تتابع الأخبار السياسية؟ هل أنت معنيٌّ بهذا العالم الافتراضي؟

إنّ عهدي مع الفايسبوك قصير نسبياً؛ قبل سنتين لم أكن أعرف الكثير عنه؛ وكلمة "أصدقاء" على الفايسبوك لا تحمل معناها الحقيقي؛ فالناس الذين يتعرفون على بعضهم على الفايسبوك لا يعرفون إلا أقل القليل عن بعضهم البعض، وتواصلهم لا يتعدى بعض التعليقات المقتضبة. ولكن يجب الاعتراف بأنّ هناك بعض المواقع التي تمد بمعلومات ثرية ومفيدة وسريعة، ثم إنّ انتقال الأخبار عبره سريع جداً، وكلما استطاع المرء أنْ يتعرّف على تلك المواقع استفاد أكثر.

• لكنّ من يتابع صفحتك على الفايسبوك يرى مشاركات لمقاطع فيديو عن الحيوانات، وأحياناً مقاطع فيديو لتشارلي شابلن، وصور لأحدث السيارات في العالم. لا تكتب أي بوست على صفحتك، ومن الصعب أن يعرف المرء ما هو عملك أو موقفك من أي شيء بخلاف كثير من المثقفين السوريين، لماذا؟

– ربما لإحساسي الطاغي بسوء استخدام الكلام عند الناس جميعاً. أصبح كل من له لسان يريد أن يتكلم فيما يعلم وفيما لا يعلم، بحجة أن هذا حقّه وأنه يمارس حريته، حتى أصبحت الكلمة أرخص سلعة على الإطلاق، وأقلها قيمة ووزناً. أعتقد أن الصورة والفيديو في عصر الفايسبوك هي الأبلغ والأشدّ تأثيراً في النفس وتثير الخيال والفكر، وهذا هو الأفضل.

• سمعنا أنك شغوف بالموسيقى أيضاً؟ ما الذي تسمعه هذه الأيام؟ وهل يمكنك أن تترجم وأنت تسمع الموسيقى؟

– لطالما شكّلت الموسيقى جزءاً من حياتي، وأحياناً كانت طوق نجاة في أوقات الهمّ والعُسر لتحقيق التوازن النفسي. الموسيقى من أهم عناصر البقاء على قيد الحياة في رأيي. أعتقد أنني ولدت مع ما يُسمّى "الأذن الموسيقية".

منذ سنوات طفولتي الأولى وأذني تنجذب للأنغام الموسيقية الأصيلة، ليس فقط لأصوات عبد الوهاب وأم كلثوم واسمهان وفايزة أحمد، بل أسماء ربما أقل شهرة مثل عبد المطلب وكارم محمود وابراهيم حمودة. وأنا محب للموسيقى المجردة عن الغناء، كموسيقى عبد الوهاب، وفريد الأطرش، وعطية شرارة، وغيرهم. وحين بدأت أصغي إلى الموسيقى الغربية، استقرت في نفسي مباشرة، ولكن على مستويات أعمق، لديّ ولع خاص بالموسيقى الغربية الكنسيّة والكورالية القديمة.

ثم بدأت أستمع إلى موسيقى البوب والجاز منذ ستينيات القرن الماضي وانجذبت إليها فطرياً أيضاً. ومع مرور الوقت، أصبحت أستمع إلى أنواع الموسيقى كلها لأن هناك فقط موسيقى جيدة أو لا موسيقى. وأعوذُ أذني على سماعها لأترك لها الخيار الغريزي الفطري لانتقاء الأفضل دون أحكام مسبقة. وهذا ما أفعله دائماً في سماعي للموسيقى. استمعت اليوم إلى فرقة Jethro Tull والآن أستمع إلى Schubert. وليس بالضرورة أنْ أصغي إلى الموسيقى وأنا أعمل؛ الصمت التام والسكون هما أفضل جو للكتابة.

• هل لديك وقت لقراءة أعمال لروائيين عرب؟ وإن حدث وقرأت، من يعجبك من الروائيين العرب وتعتقد أنه يستحق أن يُترجَم إلى اللغة الإنكليزية ويشكّل إضافة إلى الإرث الأدبي العالمي؟

– سبق أنْ أجبت عن هذا السؤال، فأنا لا أتابع المشهد الثقافي العربي، بسبب تجربتي المريرة مع ما حاولت أنْ أتابعه. نعم، هذا صحيح، وهذا ما ينبغي أنْ يحدث منذ زمن بعيد. أعني الاعتماد على الترجمة، لأنّ الوعي الثقافي العربي لم ينضج بعد ليُعطي نتائجه، ولكي يحدث هذا يجب أنْ تتوافر الأجواء الصحيّة والصحيحة لهذا المثقف، يجب أنْ يتفاعل مع كل ما يحدث على أرض الواقع، السياسي، والاجتماعي، والفكري – وهذا بالضبط ما لا يحدث، ويبقى يتخبط في عزلته وانعزاله، وفي شطحاته الوهمية.

• ماذا لو خذلك جسدك، ولم تعد تستطيع أن تترجم، ماذا ستفعل حينها؟

– لا أعتقد أنني سوف أتوقف عن الترجمة، قد يتغيّر الإيقاع فقط ويُصبح أبطأ، وسوف أحلم دائماً بالكتب الأخرى التي يجب أنْ تُترجَم.

• عن صحيفة الاخبار اللبنانية

عن رحيلِ أُسامة منزلجي: الترجمةُ فعلُ مبارزة

أنــــور مـحــمــد

تَتميَّز النصـوص الأدبية التـي ترجمها الكاتب السـوري أسـامة منزلجـي (١٩٤٨- ٢٠٢٥) مـن اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية بأنَّها جاءت نتيجـة جهد عقلـي، فهو غير مُحايـد ولو كان هـادئ الأعصاب، فنـرى اللغةَ/ الكلمـاتَ تَرُجُّ القارئ رجَّاتٍ عنيفة فيوقظُ إحساسـاتنا كقرَّاء مع موضوعٍ الرواية فنُحقِّـق، أو لنُحقِّق ترابطًا بين التخييل والواقع.

أسامة منزلجي يُترجمُ لكي يحفرَ أخاديدَ يُفرِّغُ فيها ورَعَهُ بالإنسانيـة، فـكلُّ الأدبـاء الذيـن ترجمَ لهم مثـل جيمس جويس، هنري ميلـر، نيكوس كازانتزاكي، جان جينيه، هرمان هسه، تنيسي وليامز، سكوت فيتزجيرالد، ويليام فوكنر، غراهام غرين، ج. م. كويتزي، بول أوستر، تيري إيغلتـون، كاميليـا انتخابي، شـيروود أندرسون، فيليب روث، غور فيدال... وغيرهـم، كانوا يعيشون مثله حُمَّى فكريـة وفلسفية، وعذابات روحية حـول المصير الذي آلَ إليه الإنسانُ منْ قَبل، وما بَيْنَ، وما بَعْدَ الحربين العالميتين كحطـبٍ لقوى الشرِ التي تستبدُّ بالحياة. أسامة منزلجي يُترجـمُ الروايات لأنَّ الرواية تُجابـه؛ وصراعاتها كامنة وقاسيـة، ولنوالـف بين العقـل النظري والعقـل العملِي، بمـا يؤسِّس لوعـي يقطع مع الجهل بالآخـر: كيف يُفكِّر؟ كيـف يفعل ما يفعلُ؟ ولنقيم علاقة مع الحقيقة، فنميِّز بين روايتين؛ بين ثقافتين: ثقافـة السلطة المُستبدَّة وهيمنتها وتسلطهـا، وبين ثقافة الحرية التي كان الروائيون الذين ترجـمَ لهم يحاولـون بإبداعاتهـم إنقاذنا حتـى لا نعيش حالـة القمـع والإذلال والإخضاع. وعلـى سبيل التجربة فـإن مـا عشنـاه في سورية على مـدى أكثر مـن خمسين سنة، يثبـت أن مؤلفاتٍ وترجمات وشعـارات ومَسيرات وجـنرالات كانت تَحطُّ مـن وعينا وقَدْرِنـا، وتحولنا إلى فرائس.

الترجمـة فعـلٌ نهضوي تحـرري عند المثقّـف العضوي؛ أكان سوريًا أو سودانيًا أو لبنانيًا أو مصريًا او جزائريًا أو مغربيًـا أو فلسطينيًـا أو...، وهـي كذلـك عنـد أسامة منزلجـي لأنَّها فعل مبارزة بين حَدَّيْـن نَدَّيْن: جهلٌ وعلم. فمعظـم اختياراتـه من الروايات هي كذلـك مثل "الإغواء الأخير للمسيـح" لـ نيكوس كازانتزاكـي التي صوَّر فيها الصـراع النفسي الـذي عاشه يسوع المسيـح، والشكوك والإغواءات التي واجهها خلال حياته، وبكثير من العمق والتأمـلات الفلسفية، أو ثلاثية هـنري ميللر (سيكوس، نيكسوسـس، بليكوسـس)، وكذلـك روايتيـه (مـدار الجدي ومـدار السرطـان)، أو "العـودة إلى متوشالح – معالجة مُستقبليّـة لأسفـار موسـى الخمسـة" للكاتـب المسرحي والروائـي الأيرلنـدي جـورج برنـارد شـو، أو "العقـل والإيمـان والثورة: تأملات في مناظرة حول الله" لتيري إيغلتـون، أو "ذئب البراري" لهرمـان هيسه، أو "الربيع الرومـاني للسيدة ستـون" لتنيسي ويليامـز، أو "امرأة على الضفـة المقابلـة" لميتسويو كاكوتـا، أو "الطاووس الأبيضـ" لديفيـد هربـرت لورانسـ، أو "الخـوف من الموت" لإريغا يونغ.

سـنرى أنَّها اختيـارات لأعمالٍ واقعية تُمثِّـلُ انتقامًا- رَدَّ فعـل خيبـات أملنا العنيفـة مّمَّنْ أجبرونا علـى أن نسكن في حجـرات/ منـازلَ إنَّمـا هـي توابيـت لنشـر الرعب والإخضاعٍ والاستخذاء، فنتعرَّف على شخصيات روائية كانت عند هنرِي ميللر أو نيكوس كازانتاكي أو الآَخرين؛ شخصيات أيضا تُحبِ بحواسها، كون الحب نزاعًا ساميًا يهـزُّ المشاعر هزًّا عنيفًا، حتـى لو كانت شخصياتٍ تفتري علـى الله في لحظات ضعفها وخَوْرِها وهي أكثرُ ما تكون في حاجة إليه.

أسمـة منزلجـي مُترجـمٌ- نتذَكَّـرُ معه في رحيلـه المفاجئ هـذا جـورج طرابيشـي ورفعت عطفـة اللذين كانـا مثله منحازيـن لترجمات تنفض عـن عقلنا الخمـول والكسلِ الفكـري، فنستعيد وعينا النقدي، فنقـرأ لنتحـرَّرَ ولنبعث قيـمَ العقـل والتنوير. منزلجي المترجـمُ المثقَّف الذي كان لا يُغـادر منزلـه/ بيته في اللاذقيـة إلاَّ لضـرورة، فتحَ ما بـين بيته وبيننا معابر من الحكايات لبشر؛ وعن بشر في الروايات التي ترجمها تزيـدُ من وعينا وهي تُذيبُ جِبالِ الفكـر الجليديـة في رؤوسنا، وإذ يرحلُ فهـو أكثرنا تأمُّلًا لأنَّـه أكثرُ معرفـةً. فالأرضُ كانـت سوريـة أو فلسطينيةً والتـي كانـت ترتـوي بالميـاه، صـارت في هـذا الجحيم العربي المتخـاذل الانحطاطي من كثرة الشهداء وضحايا الطُغاة لا ترتوي حتى بالدماء.

منزلجـي في ترجماتـه كان كمـنٍ يشتغل ثائـرًا، قانونيًا، وعالمًـا وطبيبًـا نفسيًـا ورسـولاً/ مسيحًـا خفيًـا. فنقرأ الروايـات التي ترجمها بدون تحفظ لأنَّه لا يغشّ القارئٍ، ولا يُفكِّـر بذهنية ساديـة شيطانيـة، ولأنَّ الترجمة أيضا ليست مجزرةً دموَية للكلَماتِ. فأسامة وإن لم يصطدم مع الجلادين كونه اختـار العزلة الاجتماعية، كانت الترجمة ملاذه الروحي والوجداني، فكمـا الربحِ هناك الخسارة، وكما المستقيمُ هناك المعْوَجُ، وكما الأبيضُ هناك الأسود.

• عن الضفة الثالثة

أسامة منزلجي بطل الأدب المغمور

رشـيـد وحـتـي

كلمـا مـات مترجِـمٌ، انقطعـت معـه سُبُل التواصل الإنسـاني بين بعض أصقـاع العالَم. رحل أخيراً المترجم السـوري أسـامة منزلجي (اللاذقية ـــ ١٩٤٨-٢٠٢٥)؛ وفي مفارقةٍ غريبة، فكَّ خبر نعيهِ العزلة التي كان يعيشُـها لآخر مرَّة بيـنَ مـرَّات نـادرة، إذ كان معروفاً حتى داخل مدينته على السـاحل السـوري بلزومِه بيتَه وسطَ كتبه وأسطواناته الموسيقيَّة.

حـاز منزلجـي الإجـازة في الأدب الإنكليزي عام ١٩٧٥ من جامعة دمشق، وترجـم عـن الإنكليزِيـة إلى العربيـة مـا يناهـز الستـين عمـلا بـين روايـة ودراسة ومذكِّرات، ما يجعـل مجهودِه الفردي الجبَّار هـذا، كمّـاً ونوعـاً، مساويا لمـا تقوم بـه عادةً مؤسسـة رسميـة مدعومـة أو مؤسسـة خاصةٌ ذات ماليَّة ضخمة.

فرادة المشروع الترجمي للراحـل لا تنبع فقط ممَّا نقلـه إلى العربيَّة، بـل أيضاً مـن شخصـه وتكوينه الفكـري والنفسـي. يقـول في مقابلـة أجرتهـا معـه الشاعرة هنادي زرقة (الأخبار/٢/٢٠١٧): "كنتُ صبياً لا يمكـن أنْ يتلاءم إلا مع اختصاص يليق بكونه منعزلاً بامتياز، حواره الوحيد مع الكلام المكتوب والكلام الذي يـدور في الرأس. لم أنجح مرةً في إجـراء حوارٍ طويل مع أحد. ولدتُ لأكون مُصغياً". وهكذا أمضى جلَّ حياته في صمت مصغياً إلى الكتب التي ترجَمها وإلى مؤلِّفيها.

دخـلَ مضِمـارَ الترجمـة عـام ١٩٨٠، مفتتحـاً مسـارَه الاحـترافي بـ "ربيعٍ أسود" لهـنري ميللر، التي صدرت عـنْ "دار ابنَ رشـد" البيروتية اليساريَـة العريقة التي توقّفت للأسف كعدد من المشاريع التحررية بعد اجتياح بيروت عام ١٩٨٢.

وبمراجعـة قائمة منجـزَاتِ الراحل، يتّضـح بجلاء أنه كان صاحـب مشـروع مفكَّـرٍ فيـه بروية وبذائقـة فنية، رغـم غياب أي نظريَّةً عنها، إذ تكمـن نظريَّتها بشكل منَ الأشـكال في طريقـة الانتقاء وممارسة النقـل الإبداعي مـن الإنكليزيـة إلى العربيَّة وفقاً لمعاييـر شخصية ألزَمَ بهـا نفسَـه: "ميللر هو المتمـرد الصعلوك الـذي أراد أنْ يُعيـد تعريف كل شـيء حسب ملاحظاتـه وتجربته في الحيـاة. أراد أنْ يُنهـي الجملـة التقليديـة للتعبـير عما يريـد، والمفهوم التقليدي للعيب، أراد أنْ يستمد تجربته من التماس المباشر بالحياة وبالإنسان.

عندما رأيتُ اسمي مكتوباً على ترجمتي الأولى، شعرت بالمسؤوليـة، بأننـي لا أريد أنْ يقـترن اسمي بما يمكن أنْ يُسـيء إليـه: أردتـه أنْ يجـذب الاهتمـام والانتبـاه بوصفـه جالباً لكلام يهتم بالإنسان ويبقى في الذاكرة".

وعليـه نقـلٍ إلى العربيَّة جلَّ روائع هـنري ميللر، التي بلغـت عَشْراً من بينها "مـدار الجدي" (١٩٩٦)، و"مدار السرطـان" (١٩٩٧)، إلى جانب ترجمة "ذئب السهوب" (١٩٩٧) و"إذا مـا استمرت الحـرب: مذكرات في الحب والحرب والسـلام" (٢٠١٤) لهيرمان هسه؛ و"الإغواء الأخـير للمسيـح" (٢٠٠١) لنيكوسـس كازانتزاكيس؛ و"خزي" (٢٠٠٢) لكويتزي وغيرها الكثير من الروائع التي طبعت ذاكرة الأدب العالمي.

لـدى مراجعة بقيـة منجزاته، يتبـيَّن أنّـه كان متسلِّحاً، ليس فقط بعدَّة الاحتراف الترجمي، وإنَّما أيضاً برؤية سياسيـة لا يغيب عنهـا الحسُّ الجمالي، قبـل الشروع في نقـل أيِّ كتـاب إلى العربيَّـة، وبابتعـاد متعفِّـف عن معاييـر فرضهـا الرأسمال في سـوق الثقافـة: "يهمّني في الدرجـة الأولى الكتّـاب الإنسانيـون، المهتمـون بالمصيـر الإنساني والمعاناة الإنسانيـة في هـذا العالم، الكتّـاب الذين يذهبون إلى الأسئلـة الكـبرى مباشـرة، الذيـن لا يعترفـون بالحواجز والموانع، الذين يسعون إلى الحرية الداخلية قبـل الخـارجية. كلما ازدادت شهرة الكتاب، قلَّ اهتمامي بـه؛ أنا لا أقرأ الكتب التي تحظى بشهرة واسعة؛ إنَّ لها سمعة مُريبة".

• عن صحيفة الاخبار اللبنانية

manarat
www.almadasupplements.com
رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق
منارات
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

أسامة منزلجي مبدعٌ مهموم باكتشاف ما يُضيء حياته ويُغني ثقافتنا..!

فـــــخـــــري كـــريـــم

تشاء الصدف أن تبدأ علاقتنا في منتصف تسعينيات القرن الماضي، برد فعل لم أُسامح نفسي عليه كلما مرت ذكراه في خاطري. ورغم اعتذاراتي التي لم تتوقفْ حتى آخرِ اتصال بيننا، ظل هو يوحي كما لو أنه لا يعرف سبب الاعتذار، مُضمراً هو الآخر أسفًا على تسرّع في التباس عابر.

وهكذا بدأت رحلة تعاون لم تنقطع على مدى أكثر من عقدين من الزمن. كان أسامة لا يفارق مكتبه في غرفته المسوّرة بالصمت والعزلة الإبداعية، حيث العوالم الافتراضية بأبطالها وحكاياتها وأحداثها تُغني عزلته وتبهره بقيمها الجمالية، وترتقي به إلى حيث يتجاوز الواقع التافه والمتداعي واللامجدي.

لم يكن بحاجة إلى السفر أو المغامرة، لأن الكتب التي ترجمها كانت جواز سفره إلى حيوات لم يعشها أبدًا، لكنها عاشت فيه.

كانت الترجمة بالنسبة له أكثر من مجرد عمل، بل كانت وسيلته السرية للتمرد، وطريقه الوحيد لملامسة الحافة الخطرة التي لم يقترب منها في واقعه اليومي.

من "الإغواء الأخير"، أول منجز نشره مع "المدى"، تابعت حيويته ونشاطه وثراء معرفته وتفاصيل ما يعيد خلقه وهو يترجم عيون الأدب العالمي، وفقا لرؤيا صادمة ومحاكاة لما كان يتوق إليه من حياة يتطلع إليها، قد تكون نقيضا لواقعه المعاش. وحتى آخر عمل خطته يداه، كانت كل ترجمة يخوضها نوعًا من العيش البديل. لم يكن مجرد ناقل للأدب، بل كان كائنًا يعيش داخل النصوص، يتماهى مع شخصياتها، ويعيد خلقها بلغته، مانحًا إياها بُعده الخاص. كانت كل كلمة يخطها طريقًا إلى الحياة التي لم يعشها، وكل جملة مغامرة لم يختبرها إلا عبر الصفحات. وبهذا الشغف العشقي، تكاملت أدوات أسامة منزلجي، وقد كان من بين أغلب مترجمي المدى هو من ينتقي الأعمال التي يتولى ترجمتها، واختياراته كلها تعكس سويته وتنبض بحساسيته ورهافة مشاعره الكامنة، بينما تثير الكثير من الأعمال المنتقاة المنشورة تساؤلا ملفتا: لماذا كانت أبرز تلك الأعمال نقيض حياته الشخصية؟ فأسامة العصامي، المفتون بالاكتفاء ربما على كل صعيد، المنعزل عن صخب الحياة وضجيجها، المتصوف "المترهبن" رغم اعتراضه على التوصيف، مستعيضاً عنه بالقول "أسلوب حياة محسوب بدقة" كما يذكر صديقه الكاتب والمترجم زياد عبدالله، يجد شغفه في اختيار أعمال تضج بكل ما هو ضد وصادم، كل ما هو منشغل بالمتع والملذات ومتجاوز لكل تحريم. لماذا اختار أعمال هنري ميللر "ثلاثية الصلب الوردي" و"مدار السرطان" التي حاولت صديقته الوفية "أنايس نن" نشرها في الولايات المتحدة ولم تجد إلى ذلك سبيلا، فطبعت في باريس عام ١٩٣٤، ولتتفنن بعدئذ في تهريب نسخ منها إلى الولايات المتحدة، بينما لم يجد عزرا باوند وهو يقرّض الرواية سوى القول "هاكم كتاب قذر يستحق القراءة!"، ولم يجاهر ت. اس. إليوت بإعجابه الشديد بها، مكتفيا بتوجيه رسالة إلى ميللر يثني عليها.

لم يكن اختياره لأعمال هنري ميللر و"مدار السرطان" و"ثلاثية الصلب الوردي" اعتباطيًا، بل كان انعكاسًا لرغبة دفينة في استكشاف النقيض المطلق لحياته. كان أسامة العصامي، المنعزل، المتقشف، الذي يقضي أيامه في صمت مدروس، ينتقي أعمالًا تضج بالحياة الصاخبة، المغامرة، الجنس، والتمرد، وكأنه يعيد تشكيل عالم لم يُكتب له أن يكون جزءًا منه. كان يعيش حياة المؤلفين الذين ترجمهم دون أن يغادر غرفته، يرافقهم في تيههم بين القارات، يتنقل معهم بين فنادق رخيصة وكهوف مظلمة، يشرب معهم في حانات باريس، ويشقى معهم في فقرهم المدقع.

لماذا كان هذا الانجذاب إلى حياة لم يعشها؟ هل كان يحاول موازنة عزلته؟ أم كان يرى في الترجمة نوعًا من "الحياة البديلة" التي اختبرها دون أن يدفع ثمنها؟ مهما كان الجواب، فقد كان أسامة مترجمًا لا يُشبه غيره. لم يكن مجرد ناقل للنصوص، بل كان صانعها الجديد، يبث فيها روحه، يذيب شخصيته في شخصياتها، حتى تكاد تلمح صوته بين الأسطر.

لم يكن من أولئك الذين يتباهون بأعمالهم، ولا من أولئك الذين يلهثون خلف الأضواء. كان مترجمًا يعيش في الظل، تمامًا كما كان يعيش في الحياة. اختار أن يترجم أدب المغامرة دون أن يغامر، أدب التهتك دون أن ينغمس فيه، أدب الفوضى وهو في عز انضباطه.

رحل أسامة في غمضة عين، مستريحًا وهو نائم إلى حيث النوم الأبدي. وكأن كل تلك الحيوات التي عاشها بين الكلمات قد استنزفت طاقته على الحياة. لكنه ترك خلفه إرثًا من الترجمة لم يكن مجرد نقلٍ للمعنى، بل كان استنساخًا لروح النص، ومرآةً تعكس روحه هو، تلك الروح التي ظلت تبحث عن حيوات لم تكن لها، حتى صارت جزءًا منها.

لقد عوض نمط حياته الهادئ بترجمة المغامرين والمتمردين والمتهتكين وكأن الترجمة كانت طريقه الوحيد لخوض الحياة التي لم يعشها. نوع من الاغتراب العكسي، حيث لم يكن بحاجة إلى السفر الجسدي لأنه سافر عبر النصوص، وعاش حيوات بديلة من خلال الكلمات التي كان ينقلها.